مضامين وعد بلفور في الخطاب الشعري الفلسطيني وآثارها على الفكر والثقافة

أ/حسين عمر دراوشة، باحث ومحاضر في علوم اللغة ومعارفها بغزة، فلسطين

hussien2013333@hotmail.com

الملخص: يسعى هذا البحث إلى مضامين وعد بلفور في نصوص الخطاب الشعري الفلسطيني وآثارها على الفكر والثقافة، وذلك من خلال الوقوف على صورة وعد بلفور في الأدب الفلسطيني ونتائجه وآثاره، والحديث عن موقف الزعامات العربية والإسلامية وما يرتبط بها من أحداث عالمية لها ارتباطاتها التراثية في الأحداث والوقائع الثورية على مر العصور، والتي تمثل تراكمية النتائج في الهوية الفكرية والثقافية، ومن ثم الكشف عن الحس الثوري المتفاعل في مضامين وعد بلفور في الخطاب الشعري الفلسطيني، الذي يستنهض الهمم من أجل مجابهة قوى الاستعمار والمحتل الغاصب، والذي يعبر عن عمق الجانب الفكري والثقافي في فهم الواقع وتقدير أولوياته من منظور استراتيجي وعقلية مستنيرة، وتوضيح كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي مع نماذج شعرية من الأدب الفلسطيني، ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته وفهرس للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: (وعد بلفور، بلفور والخطاب الشعري، الخطاب الفلسطيني، بلفور والفكر والثقافة).

The contents of the Balfour Declaration in the Palestinian poetic discourse and its implications for thought and culture

Abstract: This research seeks to the contents of the Balfour Declaration in the texts of the Palestinian poetic discourse and its effects on thought and culture, by looking at the image of the Balfour Declaration in the Palestinian literature and its consequences and effects, and the talk about the attitude of the Arab and Islamic leaders on the associated world

events with its heritage links in the revolutionary news and events throughout the ages, which represent the cumulative results in intellectual and cultural identity, and then reveal the revolutionary sense of interaction in the content of the Balfour Declaration in the Palestinian poetic discourse, which spurs the effort to confront the forces of colonialism and the usurper occupier, which reflects the depth of Ga B intellectual and cultural reality in the understanding and appreciation of his priorities from the mentality of an enlightened strategic perspective, and to clarify all the above descriptive and analytical approach with poetic models of Palestinian literature, and then the conclusion and the research results and recommendations and index of sources .and references

Keywords: (Balfour Declaration, Balfour, Poetry, Palestinian Discourse, Balfour,).Thought and Culture

المقدمة:

أنتج الأدب الفلسطيني نصوصاً إبداعية ذات مضامين موضوعية وفنية، لها دلالاتها التي تعبر عنها وقضاياها التي تدور حولها، لقد امتشق المبدع الفلسطيني يراعه؛ ليخط أسمى العبارات ويطلق الكلمات الحرة التي تمثل الوقائع والأحداث والمستجدات على المستوى القريب والبعيد، إنها تحمل جملة من الأبعاد الفكرية والثقافية؛ تبرز بمختلف تجلياتها في متن نصوص الخطاب الشعري وسياقاته الأدبية المتنوعة.

يمثل وعد بلفور طامة كبرى تعرض لها الشعب الفلسطيني بمنح اليهود وطن قومي لهم في فلسطين من قبل الانتداب البريطاني الظالم عام 1917م، فهو كارثة أحلت بأرض فلسطين أشرفت عليها قوى الاستعمار والاستكبار العالمي، فالشاعر ابن بيئته، فعبر الشعراء الفلسطينيون عن هذه الحادثة المأساوية التي أفجعت أبناء فلسطين والأحرار من الشعب العربي والمسلم، فتحدث الشعراء عن وعد بلفور بمضامين وموضوعات لها آثارها في الفكر والثقافة؛ لذا جاء هذا البحث ليبين مضامين وعد بلفور في الخطاب الشعري الفلسطيني وآثارها على الفكر والثقافة، وتفصيل القول في هذه محتويات المضامين ضمن السياق الأدبي

المطروح فيه الخطاب الشعري، والتي تتمثل في وصف وعد بلفور وما نتج عنه من جرائم بحق الشعب الفلسطيني، وبيان موقف الزعامات القومية من وعد بلفور، والكشف عن حال الأمة العربية والإسلامية، وتوضيح طرق الخلاص من الوعد ونتائجه من خلال استنهاض الهمم بحس ثوري متفاعل له أهدافه الاستراتيجية وآلياته التطبيقية التي تسهم في تشكيل الفكر والثقافة عند أبناء الشعب الفلسطيني العربي والمسلم، فيهدف البحث إلى بيان كل ما سبق ذكره، من خلال المنهج الوصفي التحليلي، واتخاذ نماذج من شعرية من شعراء الأدب الفلسطيني وهم(محمد صيام، وبرهان الدين العبوشي، وسليم اليعقوبي، وعبد الكريم الكرمي، وكمال ناصر، ويحيى برزق، وسعيد الكرمي، وعبد الرحيم محمود، وإبراهيم طوقان)، مع استحضار أقوال أرباب الفكر والثقافة والسياسة، وذلك ليتسنى للباحثين والدارسين والجهات ذات العلاقة الاستفادة من محاور البحث وموضوعاته، وتقديم دراسة جادة جديدة لمكتبة الأدب العربي الفلسطيني والأدب السياسي، وذلك على النحو الآتي:

- مضامين وعد بلفور في الخطاب الشعري الفلسطيني وآثارها على الفكر والثقافة- مقاربات تحليلية.

تجسد مضامين الخطاب الشعري في ثناياها دلالات ذات صبغة فكرية وثقافية، تعبر عن القيم والعادات والسلوكيات التي تُؤمن بها المجتمعات، وبرزت معاني وتوجيهات لفظية وموضوعاتية تمثل في مجملها رؤية استشرافية رسمها الشعراء من وحي الظلم وقسوة العدوان وعنجهية المتمثلة في وعد بلفور المشئوم، الذي هدد الوجود الفلسطيني، وأسهم في تهجير الشعب الفلسطيني وضياعه أمام قطعان المغتصبين من أبناء الصهيونية، تلك المشروع الاستعماري حي يسعى بين ظهراني الأمة العربية والإسلامية التي وفرت البيئة المناسبة لهذا الوعد، بعدم جديتها في مواجهة المشروع الاستعماري سوى الاستنكارات وشجب الممارسات وجرائم الإرهاب الصهيوني، مما انعكس على رسائل النصوص الشعرية المعبرة التي حوت في طياتها وأبنيتها وفضاءاتها وأنسجتها تجليات تفضح ممارسات قوى الظلم وأعوانهم، وتستشف رؤية تجمع بين الماضي التليد والحاضر المرير والمستقبل الواعد؛ لتنبجس من تلك الثلاث استراتيجية وقائية تعمل على تنمية الأمن الفكري والثقافي والحافظ على مقوماته التي

تعمل على بناء الشخصية الفلسطينية المستقلة وامتداداتها الحضارية، فدارت مضامين الخطاب حول:

1- **الكشف عن ظلم وعد بلفور وبراعة الإنجليز في حياكة الزور والبهتان والخيانة،** والإشارة إلى مضامين وعد بلفور في تقنياته الكتابية التي اتسمت بالمراوغة واللعب على وتر العواطف بدلالات عاطفية مبطنة بسموم ناقعات بثها المكر البريطاني، فقال الشاعر محمد صيام في قصيدته بعنوان " وعد بلفور المشئوم"(صيام، 2007: 161/1):

(بلفـــور) للظلـــم والطغيـــان عنـــوان * والإنجليـــز طغـــاةٌ أينمـــا كـــانوا

وكلمـــا ذُكِـــرت إنجلتـــرا لُعِنـــت * فقلـــب ســـكانها بالحقـــد مـــلآن

وجيشـــها جـــيش إجـــرام وعربـــدة * وشـــعبها مفســـد فـــي الأرض فتـــان

لـــم يتركـــوا قريـــةً إلا وأغرقهـــا * ممـــا افتـــر مـــن الإفســـاد طوفـــان

فهـــا هنـــا فـــتن بالشـــر بـــارزة * وهـــا هنـــاك خلافـــات وعصـــيان

وفـــي المجـــاز هـــم أقـــوى ممارســـة * ولـــيس يشـــبههم إنـــس ولا جـــآن

كشف شاعرنا عن حقيقة وعد بلفور، وبيّن هوية مانحيه الذي ظلموا الشعب الفلسطيني وطغوا على مقدرات الأمة العربية والإسلامية، باعتدائهم على أرض فلسطين المباركة قلب الأمة النابض، أولئك الإنجليز أصحاب المكر والدهاء الذي وجبت عليهم اللعنة لما في قلوبهم من حقد وكراهية وبغض للآخرين وسلبهم وسحقهم ونفيهم، فلا وجود للآخر في ثقافتهم وحضارتهم كما يدعون، وعرض الشاعر الفِعال الإجرامية والعربدة التي قام بها جيش الإنجليز المسخ وتمهيده لتوطين اليهود على ثرى فلسطين، فهجر السكان وحتى على القُرى والمدن الفلسطينية وساند الصهاينة وعصاباتهم الشريرة، فزرع الفتن في قلب الأمة العربية والإسلامية، هذا الورم السلطاني الذي يهدد الأمن القومي للعرب والمسلمين، ولتسهيل الأهداف الاستعمارية وسرعة تحقيقها.

وقال الشاعر برهان الدين العبوشي في مكر بلفور ودهائه(العبوشي، 2009: 193):

وهـل كـان(بلفور) سـوى حـاكم رمـى * بأحبولـة يبغـي السـمين مـن الصـيد

ويـدعو الـورى للسـلم وهـو مـدجج * لنبقـى عبيـداً أو نغيّـب فـي اللحـد

أعزَّ(يهـودا) واسـتخف بيعـرب * ومـا زال قـومي يسـتجير ويسـتجدي

حلفـتُ بربـي لا أصـدق حاكمـاً * يشـير إلـى سـلم ويخطـب كالرعـد

إن النظرة الشافية التي حملها العبوشي الخطاب الشعري، تجسد حكمة استشفها من رؤيته لوعد بلفور المشئوم الذي أجحف بحق العرب والمسلمين بل سحقهم ونفيهم وجودياً من ثرى فلسطين، ودعانا الشاعر بعدم الاغترار بدعاة السلام الذين يدسون السم في العسل، وينبحون بأصواتهم المنكرة التي تدوي كالرعد، إن شعر الحكمة الذي وظفه الشاعر يمثل نموذجاً جيداً للإقناع والتأثير في المخاطبات والمراسلات التي تنطلق من الذات للآخر ويمازج بين الشعري والخطابي، كما يوفر فضاء مميزاً للانفتاح على الآخر ويفتح آفاق الحوار عبر الفضاء المشترك الذي تقاسمه المبدع والمتلقي، فيصوغ الشاعر ما يحسه المتلقي أو ما يعرفه ويسلم به، في حلة جديدة، تجعل الحكم تخدم الموضوع الكلي للقصيدة من جهة، كما تصبح وسيلة تأثير أو جذب للمتلقي من جهة أخرى، وتساهم الحكم بما ترسيه من فضاء ذهني مشترك بين المبدع والمتلقي في تقليص الهوة بينهما، تلك الهوة التي تصنعها الهالة التي تحيط بالشعر، إذ تخرج به الحكمة إلى نمط من السهولة يقترب من النثر فتغدو أبيات الحكمة نوعاً من أنواع" الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني الحسنة الرصف السلسة الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاما"(ابن طباطبا، د.ت: 82)، ويعمل هذا على توفير مقومات أساسية ورئيسة لتمكين الأمن الفكري والثقافي لدى أبناء المجتمعات العربية والإسلامية من خلال تنبيها وتحذيرها وتقديم التجربة الشعرية والشعورية التي تبلور رؤية استشرافية للمستقبل من خلال الماضي بخبراته والواقع بمشكلاته والمستقبل بتحدياته.

2- **يصور الخطاب طبيعة وعد بلفور والأوضاع التي دعت الإنجليز إلى ارتكاب حماقتهم البلهاء الغوغائية التي قامت على نفي الآخر وسحقه،** فقال العبوشي في قصيدة له(العبوشي، 2009: 230):

يبيع (بلفور) غيلاً ليس يملكه * لما رأى قومنا من حوله قعدوا

أضحت فلسطين شاةً تستدر وما * هناك من عرب يُرجى بهم عضد

والله والله لم نغفل سلاح فدا * لولا الملوك أتانا منهم النكد

لقد أشار الشاعر إلى نداء الملوك 1936م، الموجه المجاهدين الفلسطينيين لإلقاء السلاح اعتماداً على شرف إنجلترا بتنفيذ مطالبنا بإلغاء وعد بلفور وانسحابها وهي أساس الشر ومحوره، وتحدث الشاعر في خطابه عن الخيانة والعار والنكد الذي جلبه الملوك والزعماء على القضية الفلسطينية برمتها، وهذا أحق الضرر بالأمن الفكري والثقافي وهدد الوجود الجماهيري للشعب الفلسطيني على تراب وطنه الأبي.

3- **بيّن الخطاب الشعري حقيقة وعد بلفور وأصوله السياسية،** فكشف الشاعر سليم اليعقوبي عن الكيفية التي انتدب بها بريطانيا على فلسطين، والتي جاءت" في مهمة الإشراف على توفير الفرص والظروف الملائمة من أجل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، تطبيقاً لوعد بلفور"(دمج، 2007: 27)، وبين أن ذلك كان مفروضاً، ولم تكن عصبة الأمم في ذلك الوقت إلا أن وافقت على قراره، وحقيقة الأمر أن هؤلاء المنتدبين لا يصلحون أن يكونوا أوصياء على أحد، ولا حلفاء لأحد؛ لأنهم ظلمة وطغاة ودعاة كفر، فقال(قسم اللغة العربية، 2010: 45):

غصبوا منا أرض فلسطين وما * كان للغاصب مسرى الأنبياء

أنزلوا في أهلها بغيهم * جهرة طوراً، وطوراً في خفاء

وإذا ما انتدبتم أنفسهم * أوصياء، فعلى العرب العفاء

لـــيس فـــيهم مـــن وصـــي يُرتجـــى (لنـــدن) لـــم يكـــن فيهـــا أوصـــياء

لا ولا مـــــــنهم حليـــــــف إنمـــــــا هـــم لمـــن يبغـــي علينـــا حلفـــاء

فلنجاهـــــد مـــــا اســـــتطعنا فـــــيهم الجهـــاد الحـــق عنـــدي فـــي أولاء

يظهر أن الشاعر بين طغيان الإنجليز وانتدابهم على أرض فلسطين، وإقامة نظام الوصاية الذي في جوهره استعمار خفي بطريقة غير مباشرة، بين الشاعر أن الوصية ستقضي على العرب، فلندن لم تُرتجَ منها أي خير أو التحالف معها؛ لأن طبيعة الدول الاستعمارية الغدر والخيانة لأن أساس التعامل هو تحقيق المصالح فقط لا غير، فقوى الاستعمار تكن العداء المقيت لأمة العرب والمسلمين، وتحاول إيذائهم وإلحاق الضرر بهم على قدر المستطاع، فأعلن الشاعر في خطابه مدوياً ومصرحاً بالمنهج القويم والسبيل الأمثل والطريق السديد لقهر المستعمر وكسر جبروته والنيل من إرادته، وهو إقامة الجهاد في وجه بلفور وزمرته الفاسدة التي جرت البلاء على أرض العرب والمسلمين، وفي هذا البيت تناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(الأنفال: 60)، ويتضح من خلال ما سبق بأن الشعر الفلسطيني ارتبط بالقرآن الكريم"ارتباطاً لافتاً للنظر، ذلك أن قضية احتلال فلسطين كانت في أساسها قضية دينية أكثر منها قضية سياسية، وكذلك فإن إشعال المقاومة أو الثورة من أجل استرجاع الأرض قضية دينية أيضاً"(النوافعة، 2008: 1)، وهذا يوحي بعمق الفكر في الخطاب الثقافي المقاوم، الذي يهفو إلى تحرير فلسطين وتطهيرها من دنس المحتل الغاصب، فإن الصلة بين الناس والوطن أوثق في نفوس الشعراء، إذ يعاملونه إنساناً ذا روح وهوية، إذ يضع الأديب الوطن في حقيبته في بعض قصائده عندما يضطر أن يتركه، ويحمله إلى أي مكان يهرب ويطارد فيه(بدوي، 1985: 242-243)، وهذا يسهم بدرجة كبيرة إلى تثبت دعائم الأمن الفكري والثقافي لدى أبناء المجتمع الفلسطيني والعربي.

4- **بيّن الخطاب الشعري حال الشعب الفلسطيني بعد وعد بلفور**، فأصبح في مهب الريح في حالة من الضياع والتشتت والتشرذم أمام الرياح الهوجاء، التي اجتاحت فلسطين مع وجود

أطماع استعمارية كبرى تُنفذ من خلال وعد بلور الذي أوجد كيان صوري لليهود على ثرى فلسطين لخدمة الأجندة وتحقيق الأهداف والمصالح، فقال عبد الكريم الكرمي (السوافيري، 1975: 141):

قومـــوا انظـــروا الأهلـــين بيـــــــ * ـــــــن الوعـــد ضـــاعوا والوعيـــد

مـــا بـــين مُلقـــى فـــي الســـجو * ن وبـــــين منفـــــيّ وشـــــريد

يبين الشاعر ضياع الأهل وتشتت جمعهم أمام وعد بلفور الذي يعد وصمة عار في جبين الإنسان وخير دليل وشاهد على غطرسة المستعمر وصلف المحتل وبشاعة جرائمه وأفعاله العدوانية، بين حال الشعر الفلسطيني وما ألم به من الوعود بألوانها كافةً، إن وجود المحتل في حد ذاته من أبرز العوائق التي تواجه تحقيق الأمن الفكري والثقافي لأبناء الشعب الفلسطيني من أجل بناء جيل ثقافي حضاري يحمل هم الأمة والقضية.

5- **انتقاد الحكام العرب وموقفهم من وعد بلفور**، ينتقد الشاعر إبراهيم طوقان الزعماء الذين لم يكترثوا بما أصاب شعبه من تشريد وتشتت في أقطار الدنيا، ويستنهض الهمم، ولكنه يصاب بصدمة تذهل الإنسان لما يراه من فساد ونميمة بين أبناء الأمة، فيقول في قصيدته "إلى أقطار الجامعة العربية"(طوقان، 1993: 219 وقسم اللغة العربية، 2010: 52):

يـــا عصـــبة الخيـــر التـــي انتحـــرت علـــى ثغـــر الجهـــاد

قومـــوا انظـــروا الشـــعب الفقيـــر مشـــرداً فـــي كـــل واد

قومـــوا انظـــروا مـــثخن الأحـــلام مكلـــوم الفـــؤاد

أيـــن العروبـــة "ركبهـــا الجبـــار" مـــا بـــين العبـــاد

فتشـــت عنهـــا فـــي كـــل شـــبر فـــي الوهـــاد وفـــي النجـــاد

فوجـــدتها كـــتلاً تـــدب علـــى النميمـــة والفســـاد

وتحـــــوك للشـــــعب الكئيـــــب بلـــــذة ثـــــوب الحـــــداد

بين الشاعر أن الجامعة العربية هي بمثابة انتحار عن الجهاد والمقاومة، صنعها الغرب من أجل تضليل القيادات والزعامات وجعلهم قطعة من فكره وثقافته؛ ليتسنى له توجيههم نحو أهدافه ولصد ردود فعل الشعوب العربية وجماهيرها، ويتساءل عن المجد التليد للأمة، وترك الجواب واستوقف الشاعر متفحصاً ومفتشاً عن صورة مشعة للجامعة العربية في الوقت الحاضر فلم يجد سوى كتل بشرية تموج بالرذيلة وتدب بالنميمة وتعيش على الفساد، إنها الصورة المؤلمة التي رسمها الشاعر المبدع لحال الأمة وواقعها، وأكد أن هذه العصبة الشريرة – صاحبة الهوى والسلطان– تحوك فنون العذاب لأبناء الأمة النوابغ والجهابذة الأحرار، وجاء الخطاب الشعري مشحوناً بروح الرفض والثورة في وجه الظلم والعدوان وأعوانه، مبيناً المنهج الثوري الصحيح الذي لا يشط عن الجادة " لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والخلاق عن جادة لصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك"(نصير، 1413: 12)، فحرض الجمهور على الثورة والجهاد، فجاءت ألفاظه حماسية ثورية، ذات دلالات موحية ومعبرة عن المبادئ والقيم التي ينادي بها الثوار الأحرار من أمثال:(القسام) الذي جاهد ضد اليهود واستطاع أن يبث معاني المقاومة والجهاد بين أبناء المجتمع الفلسطيني والعربي.

6- **الكشف عن جلب الإنجليز كثير من المآسي التي شابت لها النواصي والرؤوس، إن الظلم الذي جلبه وعد بلفور**، يدلل على انعدام القيم الإنسانية في شخصية بلفور الماكر الشرير، الذي يفتقد أدنى مقومات الحس الإنساني العادل والمنصف، فقال العبوشي في قصيدته "طبريا"(العبوشي، 2009: 49):

فلـــو أخـــذ الغربـــي بالســـيف ملكنـــا	*	**عـــــذرت ولكـــــن بالخـــــداع المقـــــنَّن**
يكنُّـــون شـــــراً ثـــم يبـــدون رحمـــــةً	*	**لقـــد شـــاب رأســـي مـــن سياســـة(لندن)**
هـــم يـــدّعون العـــدلَ والعـــدلُ عـــنهم		**بعيـــدٌ ومـــن يكـــذب علـــى الله يُلْعـــن**

نبذ وعود المستعمر وأعوانه ، ورسم طريق الأحرار وبيان نهجهم من خلال استعراض تاريخ الأمة المشرف، الذي سيقت فيه الانتصارات المتتالية، التي جسدت ثبات القيم الفكرية والثقافية في عقلية المسلم الذي تحرر من الأوهام وسعى للتخليص البشرية من الأشرار وقتلة الأنبياء الذين عاثوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد والخراب، فقال(العبوشي، 2009: 51-52):

فلـــنمش للمـــوت الـــزؤام كمـــا مشـــى * جـــيش النبـــي بشـــيبه وشـــبابه

جـــيش مـــن الجبـــروت شـــقَّ طريقـــه * فـــي الأرض حتـــى أذعنـــت لحرابـــه

فهنـــاك أروبـــا تـــدين بدينـــه * وهنـــاك يـــأجوج مشـــى بركابـــه

والبحـــر مضـــطرب تعـــج ســـفينه * (ذات الصـــواري) خضـــبت بخضـــابه

والغـــرب تلميـــذ لنـــا فاعجـــب إذاً * لمعلـــم قـــدس ســـيم مـــن طلابـــه!

زعمـــوا بـــأن كتابـــه حـــلٌّ لنـــا * عجبـــاً وهـــل يشـــقيك غيـــر كتابـــه!

حكمـــوا الممالـــك بالكتـــاب فـــأزرق * أو أبـــيض يغريـــك لمـــع ســـرابه

وهنـــاك شـــرذمة تقـــول بقولـــه * وبـــلاء الاســـتعمار مـــن أذنابـــه

استمد الشاعر منهجه القويم لمواجهة بلفور ومكره ودهائه من خلال السير على هدي النبي في شق طريق العزة والفخار ونشر الحق والفضيلة بين الأنام، وهدايتهم لطريق البر والإحسان، ومحاربة الظلم والبهتان ومجابهة الطغيان والعدوان، وخير شاهد ودليل على صدق النهج النبوي معركة ذات الصواري سنة(34ه/654م)، التي خاضها المسلمون في أواخر العصر الراشدي ضد البيزنطيين حسمت هذه المعركة السيادة البحرية في حوض البحر المتوسط، وقلبت التفوق البيزنطي لصالح المسلمين(أبو عبية، د.ت: 25 وطقوش، 2003: 382)، فهذا الاستدعاء التاريخي يمثل معيناً أصيلاً لتحقيق الذات وبناء قواعد ومبادئ تحقق الأمن الفكري والثقافي.

7- **جاء الخطاب الشعري يبث الأمل والتفاؤل بالثوار في تنوير الفكر المجتمعي، الممتلئ بروح التحدي والمواجهة لوعد بلفور والقائمين عليه والمباركين له**، فقال يحيى برزق في قصيدته"يا وعد بلفور"(برزق، 2012: 155/1):

أحبتـــي وطريـــق المجـــد نهجكـــم.. * تـــذكروا أنكـــم أبنـــاء ثـــوار ..

وأنكـــم أمـــل يهفـــو .. لطلعتـــه * شعب بدا عـاجزاً عـن وضـع مسـمار

فعلمـــوا كـــل بلفـــور .. وزمرتـــه * أن الأباطيـــل نلقيهـــا إلـــى النـــار

وأننـــا أمـــةٌ نـــأبى الخضـــوع وفـــي * دمـــاء أبنائهـــا حـــرب علـــى العـــار

سطر الشاعر بأبياته الطريق الصحيح والنهج القويم، للخلاص من براثن بلفور وأعوانه، ومن أجل تحرير العباد والبلاد من دنس الانتداب وأعوانه الذين يسعى إلى توطينهم، أكد شاعرنا على عزة الأمة وشهامتها في مواجهة الظلم والعار، وهذا جسد دلالات فكرية وثقافية تسهم في صقل الشخصية الحضارية للإنسان الفلسطيني، الذي يحافظ على شرفه وعرضه وأرضه أمام موجات الغزو بضروبه وألوانه.

8- **التحريض على دفع الظلم الواقع على العرب من سلطة(الخائن النذل)، الذي مهد الطريق للبريطانيين في منح اليهود وطن قومي لهم على ثرى فلسطين**، من خلال وعد بلفور، فيقول سعيد الكرمي(السوافيري، 1975: 43 وقسم اللغة العربية، 2010: ، 19-20):

أيـــا أمـــة أودى بهـــا مـــرض الجهـــل * وذلت فصـــارت عرضـــة النهـــب والقتـــل

وقد أغضت الأجفـــان منـــا علـــى القـــذى * وكثرتهـــا أربـــت علـــى عـــدد الرمـــل

أمـــا فيكـــو ذو نخـــوة عربيـــة * يعـــاف ورود الضـــيم مـــن منهـــل الـــذل

ويرفـــع عـــن أبنـــاء عـــدنان عارهـــا * ويـــدفع عـــنهم ســـلطة الخـــائن النـــذل

يستعرض الشاعر حال الأمة وما ساق عليها زمرة الحكام الفاسدين، الذين لم يرقبوا في شعوبهم أية رحمة وشفقة، وبين المصاب الجلل الذي لحق بالأمة، واستنهض أصحاب

النخوة والشهامة من أجل رفع سلطة الحكام الخونة الذين أثقلوا كاهل الشعب وحطموا آماله وعاثوا بمقدراته وفرطوا بثوابته.

ويحمل الشاعر كمال ناصر على الزعماء الذين أعمتهم شهوة الحكم وحب الكرسي وكانوا عبيداً للأجنبي، فيقول في قصيدته "الزعامات والشعب والطحين" حاملاً على أهل الفساد واللاهثين وراء الكسب والمنفعة الذاتية(قسم اللغة العربية، 2010: 113):

مـــا أضـــاع الـــبلاد إلا طغـــاة * أصـــبحوا للغريـــب مـــن عبـــاده

كلهـــم مجـــرم دخيـــل علـــى الشـــعب * يـــرى راقصـــاً لـــدى أحزانـــه

أعمـــت الشـــهوة الملحـــة للحكـــم * رجـــالاً فـــأغرقوا فـــي دنانـــه

إنها نبرات حرة وهمسات شعورية صادرة عن حرقة وإحساس عميق بالمسئولية في تحديد هوية الجاني الحقيقي على القضية والأمة بأسرها، إنهم الحكام الطغاة الذين عاثوا في البلاد خراباً وفساداً لا يرقبون في الشعب ذمةً ولا رحمة، عباد للدخيل وخدام للغرب جلبوا المصائب والآلام والأوجاع لمجتمعاتهم، جرمهم شاعرنا وبين صورتهم البشعة التي وفرت للعدو فرصة حياكة المؤامرات –إن لم تكن تواطأت معه–، وهذا هدد الأمن القومي والثقافي لأبناء المجتمعات العربية، مما جعلها مجتمعات ضعيفة ومفككة ومترهلة اجتماعياً، وزاخرة بألوان شتى من الاضطرابات والانحرافات، وهذا جعل العدو يستغل هذه الثغرات ويصيب الأمة في مقتل من خلال استعمارها وغزوها والحد من حرياتها أمام مرأى العالم ومسمعه، فإذا كانت الزعامة و"السلطة ضرورية لتحقيق أمن المجتمع، فإنه ينبغي لها ألّا تبتلع حريات الأفراد، السلطة ضرورية، والضرورات تقدر بقدرها"(الجمل، 1969: 14).

9- **استنهض الخطاب الشعري الهمم، ورسم نهج الثورة وطريق الحرية والاستقلال، للخلاص من وعد بلفور وآثاره الكارثية على الشعب الفلسطيني**، فقال العبوشي مخاطباً الشباب(العبوشي، 2009: 57-58):

فمن لها يا شباب العرب إن حميت * نار الوغى أو دهتها صولة الغضب

هذي الممالك في الدنيا تقوم على * عزم الشباب وعزم الثائر الضرب

فأسرعوا وخذوا نبراس فيصلكم * وارجعوا ما طواه الدهر في الكتب

وامضوا على سنن الأبرار لا تهنوا * فدوحة المجد لا تنمو بلا تعب

يخاطب الشاعر فئة الشباب مكمن القوة والفتوة التي هي عماد المجتمع، من أجل مواجهة الظلم والعدوان والاستهداء بالتاريخ المدون في ثنايا الموروث الفكري والثقافي المكتوب للأمة العربية والإسلامية، ليشكل نبراساً يُهتدى به في مواجهة ظلم الطغاة، وللاستفادة من تجارب الأجداد الذي فتحوا شرق البلاد وغربها.

قال الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدته "دعوة إلى الجهاد" (قسم اللغة العربية، 2010: 73):

بني وطني أفيقوا من رقاد * فما بعد التعسف من رقاد

قفوا في وجه أي كان صفا * حديداً لا يؤول إلى انفراد

لا تقفوا إذا الدنيا تصدت * لكم تكاتفوا في كل نادي

يخاطب الشاعر بني وطنه للوقوف في وجه المستعمر، بصف واحد وتحت راية وقيادة موحدة، وتكاثفوا في وجه الظلم والعدوان، ومهما كنتم أقوياء فلا بد من التوحد والتماسك في وجه العدو الخائن الذي يحيك المؤامرات ويعد العدة للنيل من مقدرات الشعوب، وهذا تهديد مباشر للأمن الفكري والثقافي، في حين أن دعوة الشاعر ترمي إلى تعزيز مقومات الأمن وتدعيم وطائده، واستشراف المستقبل وتنبه الشعب وإيقاظ وعيه على مناهج الإبادة

الدمار التي رمها الانتداب البريطاني بالتآمر مع الصهيونية، فقال الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته"مناهج"(طوقان، 1993: 218 وقسم اللغة العربية، 2010: 181):

أمامـــــك أيهـــــا العربـــــي يـــــوم * تشـــــيب لهولـــــه ســـــود النواصـــــي

مصـــــيرك بـــــات يلمســـــه الأدانـــــي * وســـــار حديثـــــه بـــــين الأقاصـــــي

فـــــلا رحـــــب القصـــــور غـــــداً ببـــــاقٍ * لســـــاكنها ولا ضـــــيق الخصـــــاص

لنـــــا خصـــــمان ذو حـــــول وطـــــول * وآخـــــر ذو احتيـــــال واقتنـــــاص

تواصـــــوا بيـــــنهم فـــــأتى وبـــــالاً * وإذلالاً لنـــــا هـــــذا التَّواصـــــي

استطاع الشاعر أن يرسم لنا صورة لمستقبل الأمة، ونبه على الأخطار المحدقة بالقضية الفلسطينية، وبين وصاية المستعمر على فلسطين، هدفها سلب مقدرات الشعب الفلسطيني ونسق القضية والعبث بثوابتها وبيع فلسطين وتسليمها لليهود، فكانت الوصاية كممهد رئيسي ومقدمة أساسية لاستعمار فلسطين وتسليمها لليهود، فعملت تنبيهات الشاعر واستشرافاته لمستقبل القضية على" حماية العقيدة من الغلو والتطرف والخروج عن منهج الوسطية والاعتدال، والعمل على سلامة العقول والأفهام من انحراف السلوك والأفكار والأخلاق"(العتبي، 1430: 27)، مما يشكل زاداً قومياً وتاريخياً لأبناء الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية.

يلاحظ مما سبق أن مضامين الخطاب الشعري الفلسطيني في وعد بلفور، حملت في طياتها الموقف الحقيقي الذي يعبر عن الحس الوطني الثائر الذي تبناه الأحرار على مر السنين والأزمان، في مقارعة الظلم ومواجهة قوى الاستعمار والاحتلال بمختلف أشكال المواجهة، وخصوصاً المواجهة الفكرية والثقافية التي أذكاها الصراع الذي تعددت أقطاب ضد أبناء الشعب الفلسطيني، فامتشق الشعراء أقلامهم وأبدعوا نصوصاً ثورية تقف جامحة أمام أيديولوجيا الانتداب البريطاني والصهيونية التي تسعى لإحلال شعب محل آخر، تلك العنجهية التي لها ارتباطاتها الشريرة في الاعتداء على الآخرين، أبرز القيم والمبادئ والآراء الأساسية

التي تمثل الفكر الفلسطيني المستنير والعقل المتفتح ثقافياً في إدارة المعركة الأيدلوجية من منطلقات أساسية تقود إلى التحرير وكنس المحتل وطرده من ثرى فلسطين الطاهر.

النتائج والتوصيات: توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- النتائج:

1- بيّن الخطاب الشعري الفلسطيني حقيقة وعد بلفور الذي اغتصب الأرض واستعمرها من أهلها، وما تعرض له الفلسطينيون من مآسٍ وآهات نتيجة لهذا الوعد، وما شكله من مخاطر على إرثهم الفكري والثقافي.

2- كشف الخطاب الشعري الفلسطيني عن منهجية السحق والقتل والنفي التي تعرض لها أهل فلسطين، مما أذكى الصراع الفكري والثقافي بين المُسْتَعْمِر والمُسْتَعْمَر.

3- وضّح الخطاب الشعري الفلسطيني مركزية الصراع الوجودي حول الهوية الفكرية والثقافية وارتباطاتها القومية والتاريخية لأهل فلسطين، وما يستهدفه المحتل من طمس معالم العرب والمسلمين على ثرى أرض فلسطين المباركة.

4- انتقد الخطاب الشعري الفلسطيني أفعال الزعامات العربية والإسلامية ومواقفهم من وعد بلفور؛ حيث لم تكن هناك مواقف وإجراءات حقيقية تواجه الخطر الناجم عن وحد بلفور على فكر العرب وثقافتهم ووجودهم.

5- برز في الخطاب الشعري الفلسطيني الحس الثوري المتفاعل في سبيل مواجهة وعد بلفور ومن أطلقه من قوات البغي والظلم، مما جسد فكر الإنسان العربي والمسلم والفلسطيني حيال هذا الموعد ونتائجه الساحقة الماحقة.

6- عززت مضامين الخطاب الشعري في وعد بلفور مقومات الأمن الفكري والثقافي عند أبناء الشعب الفلسطيني، في المحافظة على الذات والشخصية الوطنية والهوية القومية والتاريخية.

ثانياً- التوصيات.

1- دراسة الأبعاد الفكرية والثقافية لآثار وعد بلفور على الإنسان الفلسطيني.
2- بيان مضامين الخطاب الشعري الفلسطيني عبر المراحل التاريخية لقضية فلسطين ومجريات أحداثها ووقائعها، وانعكاساتها على الهوية الفكرية والثقافية عند العرب والمسلمين.

فهرس المصادر والمراجع

1-ابن طباطبا، محمد(د.ت): عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز المناع، مكتبة الخانجي، القاهرة.
2-أبو عبية، طه(د.ت): موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة.
3-بدوي، عبدي(1985): قضايا حول الشعر، دار المعارف، القاهرة .
4-برزق، يحيى محمد(2012): الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، جمع وإعداد: مخلص يحيى برزق، مؤسسة بيت فلسطين للشعر، ط1، دمشق.
5-الجمل، يحيى(1969): الأنظمة السياسية المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت.
6-دمج، ناصر(2007): تحولات منهجية في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية، ط2، القاهرة.
7-السوافيري، كامل(1975): الأدب العربي المعاصر في فلسطين (1860-1960)، دار المعارف، القاهرة.
8-صيام، محمد(2007): ذكريات فلسطينية،ج1، صنعاء.
9-طقوش، محمد(2003): تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط1، بيروت.
10- طوقان، إبراهيم(1993): ديوانه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت.
11- العبوشي، سماك وحسن(2009): فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر المجاهد الراحل برهان الدين العبوشي(1911-1995)، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، ط1، دمشق.
12- العتبي، سعد(1430):الأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، الرياض.

13- قسم اللغة العربية(2010): الأدب الفلسطيني تاريخه وأغراضه واتجاهاته، مكتبة القادسية، ط1، خانيونس.

14- نصير، محمد(1413): الأمن والتنمية، مكتبة العبيكان، الرياض.

15- النوافعة، جمال(2008): أثر القرآن في الشعر الفلسطيني الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن.